

الصراع الدولي في البحر الأحمر وأثره على القوى السياسية في الجزيرة العربية

1. عبدالعزيز علي دليه آل مشعل - جامعة الملك عبدالعزيز

المستخلص

لقد هدفت الدراسة إلى البحث في الأوضاع السياسية في منطقة حوض البحر الأحمر، وأهمية هذه المنطقة خلال فترة الصراع الدولي في الحرب العالمية الأولى، ودور القوى السياسية في الجزيرة العربية خلال فترة الحرب والتداعيات على هذه القوى بعد نهاية الحرب العالمية الأولى. ويتضح من هذه الدراسة الأهمية الاستراتيجية لموقع البحر الأحمر في الأحداث العالمية، والآثار التي ترتبت على القوى السياسية في الجزيرة العربية جراء الحرب العالمية الأولى. واتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصف والمنهج التاريخي التحليلي، وبرزت من خلال هذه الدراسة نتائج متعددة لعل من أهمها أن القوى التي التزمت الحياد خلال فترة الحرب كانت هي الأوفر حظاً والأجدر بالبقاء، بينما نالت القوى المتحالفة مع الدول الاستعمارية الكبرى الضعف والزوال.

Abstract:

The study aimed to investigate the political situations in the region of the Red Sea Basin, the importance of the region during the period of the international conflict in World War I (WW1), and the role of political powers in the Arabian Peninsula during the war, in addition to examining the implications on these powers after the end of WW1. From this study, it becomes clear the strategic importance of the position of the Red Sea in the world events and the ensuing effects of WW1 on the political powers in the Arabia as a result of this war.

In the study, I adopted the descriptive and the historical-analytical methods. Several results emerged from this study, perhaps one of the key ones is that the powers, which were committed to neutrality during the war, were the most fortunate ones and the most worthy of survival, while the allied powers with the major colonial states became weakened and disappeared.

المقدمة

أحمد الله سبحانه وإثني عليه الشاء الحسن بما هو أهل له من عظيم الشاء وكامل التقديس، واصلي وأسلم على خير خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد:
فإن المتأمل لتاريخ البحر الأحمر يجده قد لعب دوراً مهماً وكبيراً على مر العصور، وذلك لما يتمتع به من موقع استراتيجي بين قارات العالم القديم، وطرق المواصلات العالمية والتجارة الدولية، غير أنافتتاح قناة السويس للملاحة البحرية عام 1869م ضاعف من أهمية البحر

الأحمر من الناحيتين السياسية والاقتصادية، مما زاد من أهمية البلدان المطلة عليه، وانعكس ذلك بدوره على زيادة تنافس الدول الاستعمارية على المنطقة، ومما كان له الأثر الأكبر في بروز منطقة البحر الأحمر في الصراعات الإقليمية والدولية، ومن هذا المنطلق فقد تناولت في هذا المبحث الصراع الدولي في البحر الأحمر خلال الحرب العالمية الأولى وتأثيراته على بلدانه حيث تم تقسيم البحث الى أربعة مباحث تناولت في المبحث الأول، الأوضاع السياسية في البحر الأحمر بساحليه الشرقي والغربي، والتنافس الاستعماري قبل الحرب العالمية الأولى، ثم أعطيت لمحة مختصرة في المبحث الثاني عن أهم الموانئ في البحر الأحمر خلال فترة الدراسة واثرا فتتاح قناة السويس عليها، ثم عرجت في المبحث الثالث على دور القوى السياسية المحلية في الجزيرة العربية في الحرب العالمية الأولى، ثم تناولت في البحث الرابع تسويات الحرب العالمية الأولى وأثرها على الكيانات السياسية في البحر الأحمر، وقد اعتمدت في هذه الدراسة على عدد من المصادر والمراجع والرسائل العلمية والمقالات العلمية المحكمة، وختمت بحثي بقائمة من أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

المبحث الأول/ الأوضاع السياسية في البحر الأحمر قبل الحرب العالمية الأولى

الأوضاع السياسية في البحر الأحمر قبل الحرب العالمية الأولى

تمهيد:

يتميز البحر الأحمر بموقع استراتيجي هام، لأنه ملتقى قارات العالم القديم الثلاث وحلقة وصل بين ثلاث مناطق إقليمية مهمة هي الشرق الأوسط والقرن الأفريقي ومنطقة الخليج العربي⁽¹⁾، وقد ظل البحر الأحمر عاملاً فعالاً على مدى العصور في ربط البلاد المحيط به، فكان طريقاً للملاحة ووسيلة للتبادل التجاري مما ساهم في ازدهار الحالة الاقتصادية المحيطة به، ومع تطور وسائل الملاحة والمواصلات البحرية زادت الحركة التجارية فيه من الهند والصين وبلاد الشرق الأقصى وبذلك أصبح ممراً تجارياً لتمويل العالم الأوروبي بما يحتاجه من منتجات⁽²⁾. ويمكن القول أن البحر الأحمر مع دخول الإسلام في معظم الأقطار المحيطة به مر بثلاث مراحل، فالمرحلة الأولى وهي مع بداية انتشار الإسلام وتوطده في الأقطار المحيطة به فإنه أصبح بحيرة إسلامية خالصة وظل على هذا الحال حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي وبداية القرن السادس عشر⁽³⁾ حيث تبدأ المرحلة الثانية والتي نجح فيها المستكشفون البرتغاليون في اكتشاف الطريق رأس الرجاء الصالح، مما ساهم في تحويل طريق التجارة الشرقية من طريقها عبر الوطن العربي إلى أوروبا، إلى الطريق الجديد عبر رأس الرجاء الصالح ومنها إلى أوروبا، مما كان له الأثر الكبير على البحر الأحمر من الناحية الاقتصادية والاستراتيجية⁽⁴⁾.

وأما المرحلة الثالثة فقد بدأت بحدث ثوري أعاد إلى البحر الأحمر أهميته التقليدية على الصعيد الدولي، والحدث هو افتتاح قناة السويس في عام 1869م التي تصل بين البحر الأحمر والبحر المتوسط، مما زاد من أهميته وتنافس القوى الاستعمارية الكبرى (بريطانيا وفرنسا وإيطاليا) ورغبتها في التوسع الاستعماري في مناطق حوض البحر الأحمر⁽⁵⁾.

سياسة بريطانيا في البحر الأحمر

شعرت بريطانيا بالخطر على طرق مواصلاتها البحرية إلى الهند، بعد الحملة الفرنسية على مصر عام 1798م، مما جعلها تقوم باحتلال جزيرة بريم الواقعة في مضيق باب المندب عام 1799م لمواجهة المد الفرنسي، ولكن سرعة الانسحاب الفرنسي من مصر خفف من حدة مخاوفهم فأثروا التراجع عن احتلال جزيرة بريم وسحبوا قواتهم البحرية منها، وعلى ذلك بقيت الحركة التجارية للأسطول البريطاني بين الهند وعدن تمر بيسر وسهولة،⁽⁶⁾ ولكن وبعد قيام محمد علي باشا بتحر كاته العسكرية لتكوين إمبراطورية في البلاد العربية وسيطرته على البحر الأحمر وإشرافه على الخليج العربي والتي تعتبر أهم طريقين للمواصلات البريطانية إلى الهند، مما أثار مخاوف بريطانيا على مصالحها في المنطقة⁽⁷⁾ فبادرت بريطانيا بإرسال قوة عسكرية بحرية إلى ميناء عدن واختلقت الأعذار لاحتلالها وتمكنت من احتلالها عام 1839م، وعقدت معاهدة صداقة مع سلطانها العبدلي اعترف فيها بالسيطرة الإنجليزية على عدن.⁽⁸⁾

ونظراً لقلق بريطانيا من التوسع الذي أحرزه محمد علي باشا في الجزيرة العربية على وجه الخصوص وسيطرته على سواحل البحر الأحمر وامتداد نفوذه إلى سواحل الخليج العربي فقد قام الساسة البريطانيون بدور كبير في تصفية الوجود المصري في الجزيرة العربية وإبعاده عن طرق المواصلات الحيوية إلى الهند في البحر الأحمر والخليج العربي⁽⁹⁾ فتعاونت مع الدولة العثمانية والدول الكبرى في تحجيم محمد علي وإخراجه من الجزيرة العربية وأن يقتصر حكمه على مصر والسودان وفق معاهدة لندن سنة 1840م.⁽¹⁰⁾

واتخذت بريطانيا من عدن نقطة للتوسع الإمبريالي والاستراتيجي الهادف إلى بسط سيطرتها على البحر الأحمر، فبدأت بالتقرب من حكام مصر ف وقعت معاهدة معهم عام 1877م تعترف فيها بسيادة مصر في ظل الحكم العثماني على كل السواحل الإفريقية على البحر الأحمر⁽¹¹⁾ وهي بذلك تحاول التقرب من السلطات المصرية لمقاومة النفوذ الفرنسي المتغلغل في الإدارة المصرية، فمنذ وصول نابليون إلى مصر، كانت فكرة مشروع قناة السويس هي الفكرة الرئيسية في مشروع نابليون الاستثماري، غير أن مشروع القناة لم ينفذ إلا في عهد سعيد باشا الذي أذن للمهندس الفرنسي فرديناند دليسبس بتنفيذه، فنجحت الفكرة وتم افتتاح قناة السويس للملاحة العالمية عام 1869م، فأصبحت نقطة تحول في تاريخ مصر وتاريخ البحر الأحمر وتاريخ التجارة العالمية وتاريخ الاستعمار، فسعت بريطانيا ببسط نفوذها على القناة عن طريق شراء أسهم

مصر في القناة، ثم بدأت بالتدخل في شؤون مصر بذرائع مختلفة حتى تمكنت من احتلالها عام 1882م، وبذلك بسطت نفوذها على البحر الأحمر من شماله إلى جنوبه.⁽¹²⁾ وبعد استيلاء بريطانيا على مصر، أجبرتها بريطانيا على إخلاء أملاكها في السودان وساحل البحر الأحمر والصومال وهرر عام 1884-1885م ثم استولت على موانئ بربره وزيلع وجعلت منها مستعمرة تشمل كل الساحل الجنوبي لخليج عدن أطلقت عليها اسم الصومال البريطاني⁽¹³⁾.

السياسة العثمانية في البحر الأحمر عقب افتتاح قناة السويس

أدى افتتاح قناة السويس للملاحة البحرية عام 1869م إلى ازدياد الاهتمام العثماني بالبحر الأحمر، وذلك لأنه أصبح أهم طريق بين الغرب والشرق، ولكونه سهل اتصال العثمانيين بشبه الجزيرة العربية عن طريق البحر، كما أن ما عانته اليمن من فوضى واضطراب ونتيجة لتصارع الأئمة على السلطة وطلب بعض الأئمة النجدة من السلطان العثماني لإقرار الأمور في البلاد وإعادة الاستقرار والأمن فيها⁽¹⁴⁾ بالإضافة إلى التحركات التي قام بها أمير عسير محمد بن عائض وحاول فيها الاستيلاء على تهامة في الجنوب، وتمكن من الاستيلاء على المخلاف السليماني وطرده الحامية العثمانية منه، حيث وصلت طلائع جيوشه إلى مخا وزبيد وحاصر الحديدة واشتبك مع حاميتها إلا أن حاميتها تمكنت من هزيمته فارتد إلى عسير، مما استدعى قيام الدولة العثمانية بإرسال حملة عسكرية إلى عسير لبسط سيطرتها عليها، فوصلت الحملة إلى القنفذة سنة 1871م وتمكنت من القضاء على محمد بن عائض ومن بسط سيطرتها على عسير بالإضافة إلى المناطق الخاضعة لهم في تهامة⁽¹⁵⁾.

أما اليمن فقد أرسلت الدولة العثمانية حملة بقيادة رؤوف باشا إلى اليمن لضمها إلى الدولة العثمانية، ووصلت الحملة إلى الحديدة ولكن رؤوف باشا مرض، فأُسندت قيادة الحملة إلى أحمد مختار باشا قائد القوات العثمانية في عسير، فتمكن أحمد مختار من دخول صنعاء والقضاء على جميع الخلافات الناشئة حولها واستولى على عمران وكوكبان وتعز وريمه، واستتب الأمر للعثمانيين في اليمن فترة من الزمن⁽¹⁶⁾.

وبعد استقرار الوضع للعثمانيين بدأت تحركاتهم بالتوغل في الجنوب اليمني، كما قاموا بحث الأمراء والسلاطين في الجنوب اليمني بالثورة على البريطانيين والانضمام إلى السيادة العثمانية، مما جعل الإنجليز يستخدمون الوسائل الدبلوماسية لكبح التحركات العثمانية حيناً ويلو حون باستخدام القوة في أحياناً أخرى وظل الوضع بهذه الصورة دون اشتباكات عسكرية حتى تم عقد اتفاقية الحدود عام 1913-1914 (17) ولم تغفل بريطانيا عن عقد معاهدات حماية مع أمراء وسلاطين الجنوبي العربي، وبذلك أصبحت مناطق الجنوب العربي منذ عام 1873م يطلق عليها اسم المحميات التسع أو النواحي التسع⁽¹⁸⁾.

الاستعمار الإيطالي في البحر الأحمر :

دخلت الدولة العثمانية في مرحلة من الضعف، مما جعل السلطان العثماني يوقع اتفاقية مع خديوي مصر تم بموجبها نقل الحكم في مصر والسواحل الشرقية على البحر الأحمر لصالح الخديوي في مصر سنة 1865م فاستغلت القوى الاستعمارية الأوربية ذلك التفويض من أجل تثبيت نفوذها في مصر وسواحل البحر الأحمر⁽¹⁹⁾

وعلى ضوء ذلك تطلعت إيطاليا إلى بسط نفوذها في الساحل الغربي للبحر الأحمر، حيث اشترت شركة ملاحية إيطالية عام 1869م أراضي حول ميناء عصب من أجل رسو السفن وتزويدها بالفحم في رحلتها للهند عن طريق قناة السويس، ونتيجة للتقارب البريطاني الإيطالي والتشجيع البريطاني فقد تقدمت إيطاليا واحتلت ميناء عصب عسكرياً عام 1879م ثم تمكنت عام 1885م من الاستيلاء على ميناء مصوع ثم تقدمت واستولت على اسمرة وجعلتها قاعدة لمستعمرتها الجديدة والتي أطلقت عليها اسم ارتيريا واعترفت انجلترا وفرنسا وإمبراطور الحبشة لإيطاليا بهذا الاحتلال⁽²⁰⁾ وعلى الرغم من أن الدولة العثمانية والحكومة المصرية احتجت على الاعتداءات الإيطالية على أراضيها وبمساعدة من روسيا وفرنسا والمجر والنمسا إلا أن إيطاليا لم تبال بهذه الاحتجاجات وذلك نظراً للتأييد البريطاني لها⁽²¹⁾، ولكن لا بد من الإشارة إلى التحركات الإيطالية خلال الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى ومن أبرز هذه التحركات، السعي الإيطالي للاستيلاء على بعض جزر البحر الأحمر مثل جزء حنيش وقمران ولكن الرفض البريطاني لهذه التوجهات وتمسك السلطنة العثمانية بالسيادة على هذه الجزر أبطل مفعول هذه التحركات.⁽²²⁾

الاستعمار الفرنسي في البحر الأحمر :-

بدأ الاهتمام الفرنسي بسواحل البحر الأحمر الأفريقية منذ العقد الرابع من القرن التاسع عشر، وقد تبلور هذا الاهتمام على شكل بعثات استكشافية هدفها الحقيقي مراقبة التحركات البريطانية وفي نفس الوقت تبحث عن موطئ قدم لها في الساحل الأفريقي⁽²³⁾. وبناء على التحركات الفرنسية فقد رأت فرنسا في جزيرة بريم أصلح مكان لها في البحر الأحمر ولكن المعارضة البريطانية أرغمتها على تركها، فاتجهت إلى الشاطئ الأفريقي واشترت أرضاً حول ميناء أوبوك⁽²⁴⁾ الواقع على خليج تاجورة سنة 1862م، ولكنها لم تهتم بهذا المكان حتى ساءت العلاقات بينها وبين انجلترا بسبب احتلالها لمصر سنة 1882م⁽²⁵⁾ فتحركت عام 1883م وأرسلت سفينة حربية إلى أوبوك وأمرتها بالبقاء هناك، وأنزلت بعض الجنود إلى الساحل ثم أنشأت مخزناً للفحم على الساحل، وبذلك كونت ميناء لتزويد السفن الفرنسية بالوقود ثم بدأت بالتوسع في الساحل وعقدت المعاهدات مع سلطان تاجورة لقبول الحماية الفرنسية، مقابل مرتب شهري سنة 1884م،

فقبل سلطان تاجورة الحماية الفرنسية.⁽²⁶⁾

وواصلت فرنسا الضغط على سلطان تاجورة، فتنازل لها عن بقية ممتلكاته في المنطقة، فاستولت على ميناء جيبوتي سنة 1888م، وبذلك أصبح لفرنسا موقع مهم على مدخل البحر الأحمر، وموقع مهم للتجارة مع الحبشة، ولذلك تقربت من الإمبراطور منليك الثاني إمبراطور أثيوبيا وعقدت معه معاهدة صداقة، وحصلت على امتياز خط حديدي من جيبوتي إلى أديس أبابا سنة 1896م⁽²⁷⁾ وبعد أن حققت فرنسا مرادها بالاستقرار على البحر الأحمر أصدرت مرسوماً ينص على وضع المناطق التي استولت عليها في شرق أفريقيا تحت الحماية الفرنسية باسم (الصومال الفرنسي) واتخذت من جيبوتي مقراً للحاكم الفرنسي فيه⁽²⁸⁾

ويتضح مما سبق قوة التنافس الاستعماري بين دول بريطانيا وفرنسا وإيطاليا في الاستحواذ على سواحل البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وخاصة بعد افتتاح قناة السويس للملاحة البحرية، والضعف الكبير الذي اعترى الدولة العثمانية في تلك الفترة مما نتج عنه عدم قدرتها على مواجهة هذا المد الاستعماري في الأراضي التابعة لها عدا بعض الاحتجاجات بين الحين والآخر والتي لم يكن لها أي مفعول في كبح جماح الدول الاستعمارية.

الجزيرة العربية في مطلع القرن العشرين

مع حلول القرن العشرين كانت منطقة البحر الأحمر قد تحدد فيها الوجود البريطاني والفرنسي والإيطالي وظل الصراع بين هذه القوى على عدد من المواقع في البحر الأحمر، وكل ذلك كان على حساب القوى المحلية والدولة العثمانية، وكانت الدولة العثمانية ترى أنها صاحبة السيادة على الجزيرة العربية.⁽²⁹⁾

فالحجاز من أهم الولايات العثمانية، لما يضيفه عليها من مكانة في العالم الإسلامي، فاستمرار سيطرتها على الحجاز يضمن مكانتها المرموقة في نفوس الملايين من المسلمين، بالإضافة إلى ما يتمتع به هذا الإقليم من موقع هام على البحر الأحمر. وحيث تم تعيين الشريف حسين عام 1326هـ/ 1908م أميراً على مكة⁽³⁰⁾ وقد صاحب تعيينه معارضة من السلطان عبد الحميد الثاني الذي كان يرتاب من نواياه، ولكن إصرار جمعية الاتحاد والترقي عليه أدى إلى تعيينه في هذا المنصب، بسبب الوعود التي بذلها بمساعدة الدولة في القضاء على الأمراء الثائرين في الجزيرة العربية⁽³¹⁾

ومع ذلك لم تكن علاقة الشريف حسين بن علي بالاتحاديين على وفاق منذ توليه الشرافة، على الرغم من الجهود التي بذلها سواء في حرب أمير نجد أو الإدريسي في صبيا، وجهات عسير، والتي خاضها باسم الدولة. ومع ازدياد شكوك الاتحاديين في تصرفات الشريف التي ترى فيه نزوعاً نحو الاستقلال وانتزاع الخلافة، لذا عملوا على التضييق عليه ومراقبته بواسطة الولاة،

وحاولوا تطبيق قانون الولايات التي كانت الحجاز مستثناة منه، كما أصروا على مد سكة الحجاز من المدينة الى مكة وفرض التجنيد الإجباري في الحجاز إلا أن الحسين عارض هذه التوجهات من حكومة الاتحاديين، مما زاد من نفور الاتحاديين منه والرغبة في التخلص منه إذا استطاعوا ذلك⁽³²⁾

وعلى كل حال، فقد أقرب نذير الحرب العالمية ليصبح الشريف حسين بين طريقين متضادين: الأول، ارتباطه الديني القوي بالخلافة العثمانية. والثاني، رفضه لسياسة الاتحاديين بحق الخليفة والمسلمين والعرب، والثورة على الدولة وطلب الحرية. واتفقت رغبته تلك مع أفكار العرب في بلاد الشام، الذي أقنعه رجالها بأن لا فائدة ترجى من صلاح الحكام العثمانيين. وقد كان لابنه فيصل رأي آخر، إذ كان يفضل الطريق الأول، والسبب يعود إلى قناعته بمطامع الفرنسيين في بلاد الشام، ومطامع الإنجليز في المناطق الجنوبية من العراق بالإضافة إلى أن اللورد كتشنر لم يقدم أي ضمانات إزاء هذين الخطرين، كما أن العرب لم يكونوا على أتم الاستعداد للثورة، لذلك كان يخشى فشل الثورة،⁽³³⁾ ومع ذلك فقد بعث الشريف حسين برسالة إلى الخليفة العثماني السلطان محمد رشاد نصحه فيها بعدم دخول الحرب إلى جانب دول المحور شارحاً الظروف التي تمر بها الدولة العثمانية والوضع العسكري المتردي للألمان، وحقيقة الوضع العسكري الاستراتيجي في شبه الجزيرة العربية.⁽³⁴⁾

أما النفوذ العثماني في الجنوب الغربي من الجزيرة العربية واليمن فقد أصبح ضعيفاً وذلك لتحالف الإمام يحيى حميد الدين والإدريسي في اليمن وعسير ضد الحكم العثماني 1907م - 1911م حتى اضطر العثمانيون إلى عقد صلح دعان مع الإمام يحيى سنة 1911م، وبعد الصلح مع الإمام انفضت عرى التحالف بين الإمام والإدريسي الذي واصل عداوته للعثمانيين وواصل ثورته ضدهم.⁽³⁵⁾ ولكون الإدريسي كان له دور بارز في الأحداث قبل الحرب العالمية الأولى وفي أثنائها فلا بد من توضيح الدور الذي قام به، حيث أن محمد بن علي الإدريسي وصل إلى صبيا في وقت كانت تعاني فيه من الفوضى والاضطراب، فاستطاع إقرار الأمن في المنطقة وأصبح في عام 1907م شخصيه لها خطورتها في عسير، وحيث أن الدولة العثمانية قد تخلصت من حليفة الإمام يحيى حميد الدين وذلك بعد الصلح معه في دعان 1911م وبقي محمد الإدريسي على وضعه السابق في مناوئة العثمانيين في المخلاف السليماني، فاستطاع الإدريسي هزيمة العثمانيين في معركة الحفائر هزيمة ساحقة في جيزان سنة 1911م، كما أنه تمكن في هزيمة القوات العثمانية والإمامة في رازح سنة 1911م أي بعد عقد صلح دعان بين الإمام والعثمانيين، كما تمكن من محاصرة أبها واحتلالها سنة 1911م، ولكن الدولة العثمانية استطاعت استرجاع أبها منه.⁽³⁶⁾

وفي سنة 1911م كانت إيطاليا قد أعلنت الحرب على الدولة العثمانية واحتلت طرابلس

الغرب، وخشيت من انتشار الحرب ضدها من باقي العالم العربي فسارعت إلى فتح جبهة حربية أخرى في عسير واليمن وذلك لإشغال الدولة العثمانية وتشتيت مجهوداتها الحربية، فسارعت إلى حصار الموانئ اليمنية عدا ما كان في قبضة الإدريسي وضربتها من البحر فخربت الحديدية وضربت مدينة الشيخ سعيد المقابلة لجزيرة بريم، وهنا التقت رغبة الإدريسي في تكوين ملك عريض له في عسير مع رغبة الإيطاليين في مساندة الإدريسي لمحاربة العثمانيين ولذلك تم الاتفاق بينهم، حيث حظي الإدريسي بالدعم المادي والدعم الحربي من إيطاليا بالإضافة إلى إغراق بعض سفن خفر السواحل العثماني⁽³⁷⁾، ولكن العلاقة بين إيطاليا والإدريسي بدأت في الفتور بعد أن ثبتت إيطاليا نفوذها في طرابلس الغرب، ومن هنا وجد الإدريسي أنه في حاجة إلى حليف جديد لمواجهة الخطر العثماني والإمامي في اليمن.⁽³⁸⁾

المبحث الثاني / أهم الموانئ الاستراتيجية على البحر الأحمر الموانئ البحرية وأهميتها: -

تمثل الموانئ البحرية حلقة الوصل مع العالم، وينعكس تأثيرها بشكل كبير على الجانب الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والعمراني بل أن حركة الموانئ البحرية ينعكس على حركة ونمو القطاعات الاقتصادية الأخرى مثل قطاع التجارة والصناعة والزراعة والنقل والخدمات والسياحة والثروة السمكية وغيرها من القطاعات الاقتصادية، بل أنها عصب الاتصال والمجال الأقوى التي تحتك فيه الثقافات.⁽³⁹⁾

أهم الموانئ على الساحل الآسيوي من البحر الأحمر.

1. ميناء جدة

يقع ميناء جدة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر والساحل الغربي للمملكة العربية السعودية بين خط طول 21° - 30° شمالاً، وخطي عرض 16° - 19° شرقاً ويبعد عن مكة المكرمة قرابة 40 ميلاً وهو بذلك أقرب المدن الساحلية لها، حيث يعد ميناء مكة المكرمة وأهم ثغور الحجاز على البحر الأحمر.⁽⁴⁰⁾

ويعد ميناء جدة أكبر مراكز العمران الحضري المطلة على البحر الأحمر بشكل مباشر من حيث الحج وأكثر تنوعاً من حيث التركيب الاقتصادي للسكان، حيث نجد أنه تطور الوضع الاقتصادي لميناء جدة بعد افتتاح قناة السويس وذلك يعود بشكل أساسي للنمو في أعداد الحجاج القادمين إلى مكة المكرمة عن طريقه.⁽⁴¹⁾

وبذلك اكتسبت جدة أهمية دينية منذ فجر الإسلام وذلك لارتباطها بمكة المكرمة إضافة إلى أهميتها السياسية والاستراتيجية والاقتصادية باعتبارها مفتاح شبه الجزيرة العربية على البحر الأحمر، حيث تستقبل المراكب والسفن المحملة بشتى أنواع المؤن والبضائع من شتى بقاع

العالم، بل أنها أصبحت ملتقى السفن الآتية من الهند وشرق أفريقيا بالسفن القادمة من مصر وأوروبا، فأصبحت مركزاً مهماً في التجارة العالمية⁽⁴²⁾

2. ميناء ينبع

يعتبر الميناء الرئيسي للمدينة المنورة والمرفأ الثاني للحجاز بعد جدة وهو صغير لكنه عميق ويستخدمه حجاج مصر وبلاد المغرب والشام وهو مصدر للبضائع القادمة الى المدينة المنورة⁽⁴³⁾

3. ميناء جيزان

ميناء مهم على ساحل البحر الأحمر، شاركت اليمن في تجاره البن في القرن الثامن عشر دون أن تتبعها، وقد نمت جيزان بسرعة خلال الحرب العالمية الأولى لأن ميناءها بقي مفتوحاً للتجارة أثناء الحصار واستمرت في النمو بعد الحرب لأنها أصبحت العاصمة الساحلية لدولة الأدراسة⁽⁴⁴⁾.

4. ميناء الحديدة

ميناء اليمن الرئيسي على البحر الأحمر، وقد بناه الأتراك سنة 1848 ولكنه كان ميناءً محدوداً وغير معد لاستقبال السفن الكبيرة⁽⁴⁵⁾ وكانت الحديدة منطقة صراع على النفوذ بين الإدريسي والإمام يحيى حيث سلمت بريطانيا الحديدة للإدريسي عام 1921م ولكن نتيجة لضعف نفوذ الإدريسي في المنطقة بعد وفاه محمد بن علي الإدريسي سنة 1923 استطاع الإمام يحيى استرداد النفوذ على الحديدة سنة 1925م⁽⁴⁶⁾

5. المخا

يعتبر ميناء اليمن الشمالي القديم، حيث كان يصدر عن طريقه معظم صادرات اليمن الزراعية وخاصة البن اليمني الذي اشتهر باسم بن المخا، وارتبط ميناء المخا بالتجارة مع بريطانيا وأمريكا واستمر مزدهراً لفترة طويلة حتى قيام العثمانيين ببناء ميناء الحديدة سنة 1848، فتدهورت أهمية الميناء وخاصة بعد تحول اتجاه البن إلى ميناء عدن في منتصف القرن التاسع عشر، وتعرض للتدمير من قبل إيطاليا سنة 1911م أثناء الحرب التركية الإيطالية، ثم تعرض مرة أخرى للتدمير من قبل الأسطول البريطاني في الحرب العالمية الأولى حيث دمر ما بقي من أبنية الميناء ومرافقه⁽⁴⁷⁾.

6. ميناء عدن

تحتل عدن موقعاً فريداً ومميزاً، فهي تتحكم في شريان رئيسي من شرايين التجارة العالمية،

ويتمثل هذا الشريان في الطريق الذي يبدأ من الجنوب إلى الشمال، بل أنها أصبحت مركزاً لتجمع تجارة الشرق⁽⁴⁸⁾ والغرب حيث تتمتع بميزات طبيعية جعلها من أهم الموانئ على البحر الأحمر حيث أنها تحيط بها مجموع من الجبال الشاهقة من جهة البحر شديدة الانحدار مشكلة حاجزاً طبيعياً عجباً، ورأس عدن داخل اتجاه البحر مما يضع خليجين عميقين يشكلان ميناء بن صالحين لرسو السفن يقع أحدهما في الشرق والآخر في الغرب⁽⁴⁹⁾ ورغم موقعها المتميز والذي أكسبها أهمية سياسية واقتصادية عظيمة إلا أنه أثر عليها سلباً بأن جعلها عرضة وهدفاً للغزوات الاستعمارية⁽⁵⁰⁾

وبافتتاح قناة السويس للملاحة العالمية زادت أهمية الميناء حيث يقع على أقصر المواصلات البحرية من الهند وآسيا إلى أوروبا عبر قناة السويس، فأصبح ميناء عدن ثاني ميناء تموين في المحيط الهندي، حيث زادت عدد السفن التي تدخل إليه بهدف التموين والتزود بالوقود وتم تطوير الميناء وتعميقه وإنشاء حوض لإصلاح السفن تلبية للطلب المتزايد وخاصة بعد افتتاح قناة السويس، بحيث أصبحت تدخل إليه كلاسفن التجارية والحربية في كل الأوقات مهما كان حجمها، وبذلك أصبح ميناء عدن أحسن وأكفأ ميناء في خليج عدن والبحر الأحمر،⁽⁵¹⁾ وبذلك اكتسب عدن مكانة مرموقة من الناحية الاقتصادية، فأصبحت سوقاً متنوعاً لمنتجات شرقية وغربية فيأتيها المر من شرق أفريقيا والأخشاب التي تستخدم في بناء السفن والمساكن من بورما واندونيسيا، واللبان من ظفار والبن من اليمن والتوابل والمواد الغذائية من الهند هذا بالإضافة إلى محطة الفحم، مما أحلها لأن تصبح منطقة جاذبة للسكان تنشط فيها التجارة والصناعة بشكل كبير.⁽⁵²⁾

أهم الموانئ الاستراتيجية على الساحل الأفريقي من البحر الأحمر

1. السويس

يقع ميناء السويس في الطريق الشمالي لخليج السويس، عند المدخل الجنوبي لقناة السويس⁽⁵³⁾ وتقع فلكياً على خط طوله 30.15 شرقاً ودائرة عرض 59.29 شمالاً، ولميناء السويس أهمية كبيرة حيث تعتبر المدخل إلى أفريقيا عبر البحر الأحمر وإلى آسيا عبر صحراء سيناء وإلى وادي النيل عبر صحراء السويس، وبرزت أهمية مدينة السويس من الناحية الدينية حيث أنها مركز انطلاق قافلة الحج المصري إلى الأراضي المقدسة والتي تضم المحمل والكسوة الشريفة، وللصويس دور مهم من الناحية الحربية، فهي ميناء تعبره العساكر المصرية أثناء الصراعات في الجزيرة العربية أو على الساحل الأفريقي في البحر الأحمر.⁽⁵⁴⁾ وقد برزت السويس كميناء مهم في الخطوط الملاحية، ومحطة مهمة لتزويد السفن البخارية بالفحم، وزادت أهميتها بعد افتتاح قناة السويس، فأصبحت سفن الأسطول المصري تمارس

نشاطها من ميناء السويس حتى سواحل خليج عدن الشمالية ولكن وبعد الاحتلال البريطاني لمصر عام 1882م اقتصر نشاط الأسطول المصري على الموانئ داخل البحر الأحمر، وأصبح النشاط التجاري محدوداً عدا النشاط الموسمي أيام الحج.⁽⁵⁵⁾

2. ميناء سواكن:

تقع سواكن على الساحل السوداني على بعد 40 ميلاً جنوب ميناء بورتسودان، ونشأت سواكن في جزيرة صغيرة داخل خليج، وتميز موقعها بأنها أفضل المراسي للحماية من عواصف البحر الفجائية وتعاقب على المدينة فترات تاريخية متباعدة، تأرجحت فيها الأحوال بين نمو وازدهار حيناً وأفول وانكماش في أحيان أخرى وذلك حسب تأثير العوامل والأحداث الخارجية، حيث نراها تستعيد مجدها في ظل السيادة المصرية عندما تم ضم سواكن نهائياً إلى إدارة السودان مقابل جزية تدفعها مصر للباب العالي عام 1863م فشهدت سواكن نهضة حديثة في ظل الإدارة المصرية تمثلت فيالمرافق العامة والجمارك وبناء المخازن لحفظ البضائع وغيرها⁽⁵⁶⁾ وبعد افتتاح قناة السويس أصبحت سواكن الميناء الرئيسي للسودان ومصر العليا وأصبحت بذلك خطوط السكك الحديدية مطلباً ضرورياً لنقل البضائع فكان أول خط حديدي يربط بين بربرة وسواكن ووادي النيل، وبذلك تمت الحركة التجارية فيها بشكل كبير فزاد وصول السفن من كل الجنسيات إلى مراسيها والقوافل من الداخل بشكل منتظم، فأصبحت من المحطات الرئيسية على طريق الملاحة الدولية في البحر الأحمر، ولكن سلطات الاحتلال البريطاني اتجهت إلى اختيار موقع جديد شمال سواكن فأصر حل ميناء سواكن وانتهى دوره كميناء رئيسي للسودان.⁽⁵⁷⁾

3. ميناء بورتسودان

شرعت سلطات الاحتلال البريطاني في إنشاء بورتسودان قبل قيام الحرب العالمية الأولى وذلك لاستقبال السفن الكبيرة التي لا تستطيع استخدام مراسي ميناء سواكن، ولكن الميناء الجديد سرعان ما استقطب السفن والتجار فانتقلت الإدارة المحلية من سواكن إلى بورتسودان فتهمش نشاط سواكن.⁽⁵⁸⁾

4. ميناء مصوع:

يعد من أقدم المدن الأثرية، حيث يعود إنشاؤه إلى القرن العاشر الميلادي على أيدي الجاليات العربية الوافدة من اليمن وكلمة مصوع تعني مكان النداء، لأن الواقف على الشاطئ يمكنه أن ينادي الواقف في جزيرة مصوع، وبعد الاحتلال الإيطالي ربطت جزيرة مصوع بجزيرة طوالوت بجسر طوله 400متر، ثم توسعت المدينة لتصبح منطقة جذب واتصال لعموم ضواحيها، فأصبحت ميناءً تجارياً مهماً تجتمع فيه تجارة آسيا وأوروبا وسماها الإيطاليون باب

الإمبراطورية. (59)

وقد تأثرت مصوع بافتتاح قناة السويس فزادت واردات الميناء فيها بشكل ملحوظ وواضح، كما نمت الصادرات والذي يأتي القطن في مقدمتها من الحبشة حيث أن مصوع هو المنفذ الوحيد للحبشة على البحر الأحمر. (60)

5. ميناء عصب

تأسست مدينة عصب في بداية القرن الثامن عشر على خط طول 42 شرقاً وخط عرض 13 شمالاً، وكانت عصب أول مركز يحتله الإيطاليون سنة 1869م، فجعلوا منه مركزاً لتموين سفنهم ونقطة انطلاق لاستعمارهم الإمبريالي في المنطقة، والحركة التجارية في عصب نشطة وتشكل منفذاً أساسياً لتصدير وتوريد البضائع من والي الحبشة. (61)

6. ميناء جيبوتي

برزت مدينة جيبوتي سنة 1888م، حيث أن الفرنسيين اكتشفوا أن مدينة أبوك التي اختاروها لحكمهم سنة 1885م شحيحة في مواردها المائية، فبحثوا عن مكان بديل فوق اختيارهم على رأس جيبوتي حيث تتوفر الموارد المائية ومن ثم جعلوها عاصمة لحكمهم عام 1895م، (62) كما تم وصلها بخط حديدي مع أديس أبابا اتفق على إنشائه عام 1887م، وتم بناؤه بتمويل فرنسي أثيوبي عام 1917م، وباكتمال الخط الحديدي أصبحت جيبوتي البوابة الرئيسية لتجارة أثيوبيا الدولية. (63)

7. ميناء بربرة

بربرة مدينة صومالية ساحلية على خليج عدن، وأنشئت بربرة من قبل المهاجرين المسلمين العرب والفرس في المدة بين القرنين السابع والعاشر الميلادي، وقد تأثرت بالأوضاع السياسية والاقتصادية في حوض البحر الأحمر والذي التنافس الاستعماري في القرن التاسع عشر الميلادي. (64)

8. ميناء زيلع

تقع زيلع على خليج عدن في أقصى الشمال الشرقي من الصومال وبالقرب من حدود جيبوتي، وقبالها جزيرة باسمها، ولميناء زيلع دور كبير في الحركة الاقتصادية. ويحتل ميناء زيلع وميناء بربرة مركزاً غاية في الأهمية بالنسبة لسلامة طريق الهند، ومحطة التموين الرئيسية لميناء عدن خلال الصراع الدولي في حوض البحر الأحمر نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. (65)

المبحث الثالث / دور القوى السياسية المحلية في الجزيرة العربية خلال الحرب

العالمية الأولى

دور القوى السياسية المحلية خلال الحرب العالمية الأولى

تداعيات الحرب العالمية الأولى

تغلغل النفوذ الألماني بشكل كبير في الشؤون العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وبلغ هذا التغلغل أوجه عندما عقدت الحكومة العثمانية مع ألمانيا معاهدة دفاع سرية سنة 1914م وفي نفس اليوم التي أعلنت فيه ألمانيا الحرب على روسيا، وكانت بريطانيا تتابع عن كثب التحركات والاستعدادات العثمانية في الجزيرة العربية مطلع العام 1914م قبل إعلان الحرب، مما جعلها تشعر بالارتياح من التحركات العثمانية وخصوصاً أن المصالح البريطانية متضاربة مع المصالح العثمانية في الجزيرة العربية والبحر الأحمر.⁽⁶⁶⁾

فمنذ دخول تركيا الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا ضد الحلفاء مثلت الجزيرة العربية ميداناً هاماً لأحداث هذه الحرب، فبحكم موقع الجزيرة العربية في قلب العالم، وتحكمها في أهم الممرات والمضايق المائية جعل لها أهمية كبرى لدى المتصارعين وخاصة الصراع العثماني البريطاني، وأصبح موقف العرب أمراً ذا أهمية مباشرة للحلفاء عامة وللمصالح البريطانية بصفة خاصة. وكانت تركيا في مركز تستطيع معه أن تهدد مصالح بريطانيا في نقطتين هامتين وذلك بفضل بسط نفوذها على الشام والعراق: فقناة السويس من جانب، ورأس الخليج العربي من جانب آخر، حيث تقع آبار النفط الهامة التابعة للشركة الإنجليزية الفارسية، كما إنه يعتبر همزة الوصل بين النفوذ البريطاني في الهند والنشاط الألماني المتزايد في العراق. وكانت بريطانيا تدرك الخطر الذي يهددها في الجزيرة العربية نفسها، فإن العثمانيين كانوا يستطيعون اتخاذ مراكز عديدة على طول ساحل البحر الأحمر لبت الألغام التي تدمر البواخر البريطانية، كما كان يمكنهم أن يبعثوا برسلهم من هناك إلى مصر والسودان وداخل أفريقيا لإمداد أهالي البلاد بالسلاح وإثارة مشاعرهم ضد الحلفاء⁽⁶⁸⁾

وهناك ثمة أمر خطير كان الحلفاء يهتمون به ويتوجسون من نتائجه لتعلقه بالدعاية السياسية ضدهم وهو: «إن الخليفة السلطان إذا أعلن الجهاد، ونال تأييد شريف مكة له، تمكن من تحويل الحجاز إلى مركز لبت الدعاية المهيجة لا لتثير البلاد العربية فحسب، بل لتحرك كذلك الأقوام الكثيرة الإسلامية وغير العربية التي تعيش تحت حكم الحلفاء أو على أطراف المناطق التابعة لهم»⁽⁶⁹⁾. ولهذا الأهمية الكبيرة، كانت الجزيرة العربية مسرحاً للمنافسة في المجالين الحربي والدبلوماسي على السواء في أثناء الحرب العالمية الأولى، مما جعل كلا من بريطانيا وتركيا تستميتان في محاولات كسب ود الأمراء والزعماء المحليين على اختلاف درجات قوتهم وأهميتهم⁽⁷⁰⁾ ونحاول في هذا المبحث استعراض الدور السياسي للقوى المحلية في البحر

الأحمر أثناء الحرب العالمية الأولى على النحو التالي :

موقف الشريف الحسين بن علي في الحجاز :

بعد اندلاع الحرب العالمية وانقسام العالم إلى معسكرين، تسابق الإنجليز والعثمانيون على كسب ولاء الأمراء والمشايخ العرب، وحاول كل طرف منهم جر الشريف حسين إلى صفه؛ فقد انهالت الرسائل والبرقيات على الشريف حسين من استانبول تدعوه لتأييد الجهاد وإعلان الحرب ضد الإنجليز، ورد عليها بأنه سيؤيد الجهاد بكل قلبه ولكنه لا يستطيع التأييد في العلن، لأنه يخشى انتقام الأعداء وشرهم، فالأسطول البريطاني يسيطر على البحر الأحمر، وباستطاعته ضرب الموانئ الحجازية وقطع المؤن عنها.⁽⁷¹⁾

وفي مقابل المحاولات العثمانية، كان الإنجليز قد بدأوا بمفاوضات الشريف حسين بن علي لإعلان الثورة ضد الدولة العثمانية، وهي المفاوضات المعروفة بمراسلات الحسين مكماهون في سنة 1333هـ / 1915م،⁽⁷²⁾ والتي ندرك من خلالها مدى اهتمام الإنجليز بالشريف وأنه هو الأنسب في تلك المرحلة لتحقيق مطالب السياسة البريطانية والترويج لمصالحها، لكونه سليل الأسرة الهاشمية وحامي الحرمين الشريفين.⁽⁷³⁾

وفي سنة 1334هـ / 1916م، أعلن الشريف حسين بن علي ثورته ضد الدولة العثمانية، وذلك بإطلاق أول رصاصة على الثكنة العثمانية في مكة المكرمة، وهذا يعني بداية انفصال الحجاز عن الدولة العثمانية، وأصدر الشريف منشوراً بين فيه أهداف الثورة ودوافعها.⁽⁷⁴⁾

وقدمت بريطانيا الدعم للملك الحسين وأخذت البوارج البريطانية تقصف المواقع العثمانية في جدة بمساندة بعض القبائل الحجازية وبقيادة قائم مقام جدة الشريف محسن بن منصور وبذلك، وتحت ضغط القصف والحصار والإمدادات البريطانية، كانت جدة أول مدينة يخرج منها العثمانيون،⁽⁷⁵⁾ وعلى جبهة الطائف كان عبدالله بن الحسين يحاصر القوات الموجودة بها حتى استسلمت له سنة 1334هـ / 1916م، كما تم الاستيلاء على عدد من موانئ البحر الأحمر مثل القنفذة والليث ورابغ وينبع وأملج، أما المدينة المنورة فقد نجحت قوات فخري باشا في التصدي لقوات الشريف الحسين بن علي واحتفظ فخري باشا بالمدينة المنورة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى.⁽⁷⁶⁾

ومع إطلالة عام 1917م، كان فيصل بن الحسين ولورانس يقودان الجيش الحجازي وتقدما شمالا فتمكنا من الاستيلاء على ميناء الوجه بمساندة من الأسطول البريطاني ثم تلاه الاستيلاء على ضبا والمويلح وإخلاء الحاميات العثمانية منها، وقد رافق هذا التحرك العسكري تدمير خط سكة حديد الحجاز ومحطاته وذلك لقطع خطوط الإمدادات بين دمشق وحامية المدينة المنورة، ثم واصل الجيش مسيره الى العقبة وكانت المعركة التي انتهت بتحريرها في يوليو 1917م، واتخذ منها نقطة ارتكاز لتحركات الجيش. ثم اتجه الجيش العربي شمالا إلى مدينة معان

(جنوب الأردن)، وهناك دارت معركة انتهت بانتصار الجيش العربي وتحرير شرقي الأردن. ثم تقدم إلى دمشق ودخلها منتصراً في سنة 1918م، لتكون بذلك أول حكومة عربية في دمشق يتزعمها الأمير فيصل بن الحسين.⁽⁷⁷⁾

وهكذا فإن الثورة العربية التي قادها الشريف حسين قدمت للإنجليز والحلفاء خدمات ومكاسب كبيرة كان لها الفضل في كسب الإنجليز الحرب فيما بعد، حيث أنها ضمنت لهم السلامة لمواصلاتهم عبر قناة السويس والبحر الأحمر، ومكنتهم من التقدم لمحاربة العثمانيين في فلسطين بعد أن ضمنوا عدم تعرضهم للغزو من الجنوب، وبذلك كانت هذه الثورة عقبة أمام النشاط العثماني والألماني في المنطقة من الناحية العسكرية، كما أنها عرقلت دعوة السلطان العثماني إلى الجهاد، نظراً لأن من وقف ضد هذه الدعوة هو سليل النبوة وحامي الحرمين الشريفين، فكان تأثير هذه الدعوة ضعيفاً في الأقطار العربية وخصوصاً في الجزيرة العربية.⁽⁷⁸⁾

موقف الإمام يحيى:

بمشاركة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول المحور، تحولت اليمن في هذه المرحلة إلى حلبة للتسابق السياسي بين القوى العظمى لكسب تأييد الحكام المحليين، فسعوا في نفس الوقت للضغط على الإمام يحيى عن طريق حاكم لحج للانضمام إليهم في الحرب، لكن الإمام تذرّع بعقده اتفاقية الصلح مع العثمانيين في سنة 1911م. وكانت بريطانيا تهدف من عقد هذه التحالفات فتح جبهات داخلية في اليمن لإشغال قوات العثمانيين عن مهاجمتهم في عدن. وقد ذكر جاكوب (Jacob) أنه وقف على اتفاقية بين الإمام وسلطان لحج في بداية (1333 هـ/ 1914م) تقضي بامتناع الإمام عن القيام بأي نشاط في الحرب ضد بريطانيا والكف عن المشاركة فيها.⁽⁷⁹⁾

ومن جهة العثمانيين فقد أمنوا جانب الإمام يحيى بعقد صلح «دعان» عام 1911م، الذي بموجبه حققوا له ما أراد ليبقى على علاقات طيبة معهم حتى قيام الحرب العالمية الأولى، وعندئذ لم يتمكنوا من القيام بما تعهدوا له من دفع الرواتب الشهرية له ولبعض كبار رجال قبائله، ورغم ذلك فإن الإمام يحيى لم يحاول استغلال دخول الدولة العثمانية الحرب فينقلب عليها ويتخلص من الحكم العثماني في اليمن، كما أنه في نفس الوقت لم يناصب الإنجليز العداء، بل تميز موقفه من الجانبين بالتزام الحياد، فلم يقيم بعمل إيجابي واضح لمساعدة إحدى القوتين على الأخرى، وإنما تصرف بكل حذر ودقة تبعاً لما أملت عليه مصالحه الخاصة.⁽⁸⁰⁾

ولعل الإمام يحيى رأى أن من الأصلح له شخصياً أن يقف موقفاً إيجابياً من حروب العثمانيين في الجبهة الشمالية (تهامة) ضد السيد محمد بن علي الإدريسي، لأن في ذلك مصلحة مباشرة له في حرب عدوه اللدود، وأن هذا الموقف قد يُفسّر من قبل البريطانيين على أنه موقف شخصي من الإدريسي وليس من الحرب برمتها. من جانب آخر عارض بشدة الحملة العثمانية على

مناطق الجنوب ولم يشارك فيها رسميًا، التزامًا منه — كما يبدو — بالوعد الذي قطعه على نفسه لسلطان لحج والبريطانيين.⁽⁸¹⁾

وعندما حاول العثمانيون تعويض الإمام يحيى عن عدم دفعهم المرتبات الشهرية وإرضائه حتى ينحاز إليهم، فاقترحوا عليه أن يخلوا له صنعاء وضواحيها وأن ينقلوا مركزهم إلى تعز، فرفض الإمام ذلك، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن انتقاله سيبعده عن قبائله ويضعف مركزه⁽⁸²⁾ وعلى صعيد العمليات العسكرية فقد كانت جبهة القتال في اليمن هادئة نسبيًا مقارنة بالجبهات الأخرى في الشرق العربي أو في أوروبا، بيد أن الجبهة اليمنية لم تخل من تحركات عسكرية كان لها الأثر الكبير على مجريات الأمور السياسية في اليمن. فقد سير العثمانيون حملة عسكرية كبيرة سارت من صنعاء لمهاجمة البريطانيين في عدن والمحميات. حيث نجح القائد العثماني علي سعيد باشا في السيطرة على لحج مكتفياً بذلك لتنتهي العمليات العسكرية البرية في اليمن عند هذا الحد. إلا ما كان يدور في عسير على يد الإدريسي، أو ما كانت تقوم به السفن البريطانية في البحر الأحمر. ومنالجدير بالذكر، أن الإمام قد امتنع عن المشاركة الرسمية في هذه الحملة تمشيًا مع موقفه المحايد من الحرب، بيد أنه سمح لمن أراد التطوع من أتباعه بالمشاركة فيها. وتعهد لمحمود نديم بك عند لقائهما في عمران سنة (1333هـ/1914 م) بعد إعلان دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا ودول المحور بأن يقدم المساعدات الممكنة للعثمانيين وقد حُصرت هذه المساعدات في إقراض العثمانيين المال، أو تزويدهم بالمؤن، وبناء على ذلك تم إقراض العثمانيين اثني عشر ألف قذح من الحبوب.

وقد حرص الإمام يحيى على ألا يساق إلى الحرب دون مشيئته، أو يأتي بأي تصرف يحسب على أنه تحيز للعثمانيين، ويتضح ذلك عندما تقاعس عن إرسال مندوبيه لاستلام مناطق الجنوب التي سيطر عليها الجيش العثماني، بالرغم من الحاح سعيد باشا عليه.⁽⁸³⁾

أما سبب موقف الإمام المهادن مع العثمانيين، فالصلح الذي تمسك به الإمام وتذرع به عند الإنجليز فلا يعدو كونه صلحًا مؤقتًا كغيره مما سبق وإن أبرمه مع أسلافه، ولم يكن عائقًا كبيرًا عند الإمام إذا أراد أن يقوم بعمل ضد العثمانيين، ولكن الحقيقة أن الإمام كان يرى أن العثمانيين ليسوا هم أعداؤه، بل عدوه اللدود هو الإدريسي، ذلك المنافس الخطير الذي يزاحم الإمام في جزء من ممتلكاته - طبقًا لوجهة نظره - لذلك كان يرى أن الإدريسي هو الأولى بالمخاصمة والعداء. ومن ناحية ثانية كان يهمه معرفة موقف الإنجليز وما سينتج عنه من الصراع بينهم وبين العثمانيين، وإن كان تحالف البريطانيين مع السيد محمد بن علي الإدريسي زاد من تخوف الإمام يحيى من النوايا البريطانية في اليمن، يضاف إلى ذلك، رغبته في الحفاظ على قواته وإمكاناته المادية سليمة لاستعمالها لاحقًا فيما يحقق طموحه السياسي، لهذا رأى أنه من الحكمة مراقبة سير أحداث الحرب، دون أن يشارك في أحداثها مشاركة فعالة تؤدي به إلى ضرورة تحمل

نتائجها، سواء كانت هذه النتيجة لمصلحته أو ضده، وانتظار ما ستسفر عنه ليحدد موقفه بناءً على رؤى واضحة.⁽⁸⁴⁾

كما حاول العثمانيون كسب ود السلطان علي بن أحمد العبدلي وبعض شيوخ الجنوب واستمالتهم إلى صفهم، ولذلك قام والي اليمن بإرسال بعض من الشيوخ إلى السلطان علي بن أحمد العبدلي سلطان لحج يحثه على الحرب ضد البريطانيين، ثم بين مبعوثو والي اليمن للسلطان العبدلي طبيعة الفوائد التي سيجنيها في محالفته للعثمانيين وتجنب المشاكل والصعوبات التي يمكن أن تواجهه في حالة مخالفتها، ولم تجد تلك المحاولات شيئاً في كسب ود سلطان لحج لارتباطه بمعاهدات سابقة مع البريطانيين.⁽⁸⁵⁾

كما وقف بقية سلاطين المحميات إلى جانب إنجلترا، وتمنوا انتصارها وخاصة لأنها تدفع لهم المرتبات الشهرية. وقد حاول الإنجليز من جانبهم كذلك تأكيد انحياز هؤلاء المشايخ والرؤساء إلى جانبهم، فكانوا يتصلون بهم ويذكرون لهم أن دخول تركيا الحرب ضدهم عمل خاطئ، وأن بريطانيا ليس لها أغراض ضد العرب، وقد ساعدهم كثيراً السلطان علي بن أحمد العبدلي بما له وبما لديه من هيبة واحترام داخل المحميات وخارجها. أما بعد دخول تركيا لحج فقد تغير موقف بعض هؤلاء السلاطين من إنجلترا، نتيجة موقفها الممتع، وعدم مساعدتها لهم ضد العثمانيين، بالإضافة لضغط الأتراك عليهم، مما اضطر أمراء بعض المحميات إلى منافقة الأتراك والتحالف معهم، وبقي البعض على ولائهم وخاصة سلطان لحج، علماً بأن سلطان لحج علي بن أحمد العبدلي قاوم دخول الأتراك لحج ولكن مني بهزيمة لعدم تكافؤ الجيشين، وتأخر النجدة الإنجليزية، وقد قتل السلطان علي أثناء خروجه من المدينة، وخلفه السلطان عبد الكريم الذي بقي على ولائه لبريطانيا.⁽⁸⁶⁾

موقف السيد محمد علي الإدريسي:

لم يكن الميدان الجنوبي هو الميدان الوحيد الذي كان موضع صدام بين العثمانيين والإنجليز في اليمن، بل كانت عسير وسواحل اليمن هي الميدان الثاني، فالصراع في تلك المنطقة كان على أشده بين محمد علي الإدريسي والعثمانيين. والجدير بالذكر، أن الإمام يحيى بعد صلح «دعان» 1911م مع العثمانيين وقف إلى جانبهم في محاربتهم للإدريسي، وهذا ما جعل الإدريسي ينفرد بالنضال ضد الإمام والعثمانيين، وعندما بدأت بريطانيا اتصالاتها بالإدريسي عن طريق المقيم السياسي البريطاني في عدن في مطلع الحرب العالمية الأولى، رحب الإدريسي بالتفاوض مع البريطانيين للتحالف معهم لمحاربة الأتراك في عسير، وقد نتج عن هذه المفاوضات عقد معاهدة بين الإدريسي والبريطانيين في 30 إبريل 1915م، وتضمنت المعاهدة: محاربة الترك عدوهما المشترك، وإشغالهم في عسير، واستنفاد قوتهم هناك، ومنعهم من استخدام الموانئ في عسير ضد المصالح البريطانية. كما تعهدت بريطانيا للإدريسي بإمداده بكل ما يحتاج إليه من

أموال ومؤن طوال فترة الحرب، والمحافظة على أراضيهِ وحماية استقلالهِ من أي عدوان يهدد بلاده⁽⁸⁷⁾

ويرجع الاختلاف بين موقف الإمام والإدريسي من الدولة العثمانية إلى أسباب جوهرية، فمن ناحية كان وضع الإمام الديني يمنعه أمام أنصارهِ من أن ينضم للقوى غير الإسلامية ضد العثمانيين المسلمين، بالإضافة إلى اتفاق الصلح مع الأتراك سنة 1911م. أما الإدريسي فإن تحالفهِ السابق مع إيطاليا ضد العثمانيين لم يقلل من مكانته بين أتباعهِ، وهذا ما جعل البريطانيين يثقون بأن أهدافهِ سوف تتحقق بواسطته، بالإضافة إلى تمركز نفوذ الإدريسي على مقربة من ساحل عسير الطويل مما يسهل الاتصال به، ويمكنهُ من السيطرة على الساحل وحصار الموانئ العثمانية، وعلى كل حال فيمكن القول إن السبب الذي حدد موقف كل من الإدريسي والإمام يحيى من القوى الأجنبية والأحلاف كان ينبع مما تقتضيه مصالحهما الشخصية وأهدافهما الذاتية⁽⁸⁸⁾.

ومع ذلك، فقد تمكن الأدارسة من مهاجمة ميناء اللّحيّة على ساحل عسير في مايو 1915م والسيطرة عليه بمساعدة من الأسطول البريطاني، واتخذته مركزاً للقيادة العامة في شمال اليمن، ولكن لم تدم سيطرتهم عليه طويلاً فقد استطاعت القوات العثمانية من استرجاعهِ، كما هاجمت قوات الإدريسي مراكز العثمانيين في وادي مور. وعلى كل، فمن الملاحظ أن تحركات قوات الإدريسي ضد الأتراك حققت أهدافها بالنسبة للبريطانيين، فقد أزعجت الأتراك وأضعف من تركيزهم على الجبهة الجنوبية للقاعدة البريطانية في عدن، بالرغم من ضعف النشاط الإدريسي العثماني خلال السنتين الأولى من الحرب، فقد كان كلا الطرفين متخوفاً من الآخر، فالعثمانيين متخوفون من الإدريسي بسبب المساندة الإنجليزية له، أما الإدريسي فقد كان يخشى انتقام الدولة العثمانية منه إذا ما تخلت عنه بريطانيا، لهذا رأى الإدريسي أنه لا بد من تجديد المعاهدة بأخرى، وقد نال ما أراد حيث استبدلت المعاهدة الأولى بمعاهدة أخرى مع البريطانيين في 22 يناير سنة 1917م، اعترفت فيها بريطانيا باستيلاء الإدريسي على جزر فرسان، وسيادته على تهامة من اللّحية إلى القنفذة شمالاً، وتعهدت بحمايتها من أي تعدد خارجي، وتعهد الإدريسي بأن لا ينشئ أي علاقة سياسية أو تجارية إلا بموافقة بريطانيا، وبذلك يكون الإدريسي قد استفاد من تحالفهِ مع بريطانيا سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، فقد حافظت بريطانيا على موانئهِ واستمرار تجارتهِ فترة الحرب، فاحتكر بذلك تجارة المنطقة وتحكم في أسعار السلع، كما جنب المخلاف الضيق والاختناق الاقتصادي⁽⁸⁹⁾.

وقد اعتبرت بريطانيا تحالفها مع الإدريسي بمثابة إجراء وقائي ضد أي محاولات معادية قد يقوم بها الإمام يحيى صديق العثمانيين ضد القوات البريطانية في عدن، كما أنهم ضمّنوا من انضمام الإدريسي إليهم وقيامه بغارات مستمرة على القوات العثمانية في عسير تشغيلها عن

منازلة الحلفاء في الميادين الأخرى وتستنزف قدرًا كبيرًا من إمكانيات الدولة العثمانية. (90)

المبحث الرابع / تسويات الحرب العالمية الأولى وانعكاساتها على الكيانات السياسية في الجزيرة العربية

خرجت بريطانيا والحلفاء منتصرة في الحرب العالمية الأولى، وأعلنت هدنة مندروس في 30 أكتوبر 1918م بعد أن خرجت تركيا خاسرة واضطرت الأخيرة إلى توقيع تلك الهدنة المهيينة مع الحلفاء؛ وكان من ضمنها استسلام الحاميات التركية في الحجاز وعسير واليمن. (91) وقد أدى خروجها إلى ظهور زعماء عرب يعملون لتدعيم مراكزهم وسيادتهم في بلادهم، ولم يكن ظهور هذه الزعامات المحلية في الجزيرة العربية بعد الحرب العالمية الأولى وليد المصادفة، بل كان نتيجة وجود كيانات كانت سببًا للاستقلال والانفصال عن الدولة العثمانية، وكانت تعمل - في نفس الوقت - على تأكيد وتدعيم شخصياتها المستقلة، واتضح اختلاف وسيلة كل زعيم عن الآخر من أجل تحقيق غاياته وأن اختلفت الوسائل التي استخدمها. وهكذا كان انتهاء الحكم العثماني في الجزيرة العربية. لم يكشف عن وجود هذه الكيانات المستقلة التي ظهرت معالمها أثناء وجوده فحسب؛ بل إنه أتاح الفرصة أيضًا لهذه الزعامات أن تعمل بحرية دون تأثر بالنفوذ العثماني. (92)

الحجاز ونجد:

بعد انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الأولى، قام الشريف حسين بمطالبة بريطانيا بتحديد سياستها، تجاه الدول العربية تحديدًا واضحًا، وكان رد بريطانيا مطمئنًا ومؤكّدًا على الاعتراف للعرب بالسيادة والاستقلال، وصرحت فرنسا وبريطانيا في 1918م أن هدفهما هو تحرير الشعوب الخاضعة للترك تحريرًا تامًا، وإقامة حكومات حرة مستقلة، وكان ذلك خداعًا للشريف حسين. (93)

وعلى كل فقد كان الشريف حسين يطمع في الحصول على أن يكون ملكًا للعرب، وذلك بالطبع يتعارض مع سياسة بريطانيا في المنطقة العربية، لأنها كانت تعتقد أن الإمام يحيى وابن سعود والإدريسي لن يقبلوا بذلك. فسرعان ما خابت آمال الشريف حسين في حلفائه الذين اعتمد عليهم في مواجهاته للدولة العثمانية، فقد ظهرت حقيقة أطماعهم الاستعمارية في البلاد العربية دون الالتفات إلى وعودهم السابقة معه. (94)

والواقع أن موقف الحلفاء بعد الحرب كانت بمنزلة الصدمة للقوميين العرب، وخاصة الملك حسين، حيث أنها لم تكن الصدمة الأولى بالنسبة لها، فقد سبقتها صدمة إعلان سايكس بيكو، وبالتالي رأى الشريف حسين أن الوعود الانجليزية تتبخّر أمام ناظره، ومع ذلك استمر يثق في وعودهم الزائفة والمتناقضة، لأنه لم يعد بإمكانه التراجع عن موقفه في المضي مع الانجليز،

وذلك بعد أن فقد التأييد العربي والإسلامي، (95) ومن أجل ذلك واصل الحسين جهوده فأوفد ابنه فيصل لحضور مؤتمر الصلح في فرساي سنة 1337هـ / 1919م فرفض الفرنسيون استقباله كممثل لمطالب العرب في المؤتمر، بل بصفة زائر كبير الى فرنسا، ولكن التدخل الانجليزي مكنه من حضور المؤتمر وعرض القضية العربية، وتشكلت على اثر ذلك لجنة كنج كرين الأمريكية المشهورة والتي وصلت الى يافا، وأعطت صورة صادقة عن رغبة الأهالي في العراق وفلسطين وسوريه في الاستقلال، ولكن دول الحلفاء لم تهتم لتقرير هذه اللجنة، واجتمعت في سان ريمو مرة أخرى وأعلنت وضع العراق تحت الانتداب البريطاني، بينما وضعت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ووضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني مع تنفيذ وعد بلفور (96) وبذلك نكثت بريطانيا بوعودها مع الملك حسين في تمكينه من ملك البلاد العربية، ومع ذلك فقد حصل الشريف حسين على مُلك الحجاز، بينما صار ابنه عبد الله أميراً على شرق الأردن، وابنه فيصل ملكاً على العراق (97). والجدير بالذكر، إن وضع الشريف حسين بدأ في التدهور بعد أن فقد الإعانة المالية التي كانت الدولة العثمانية تقدمها له، كما أن بريطانيا سحبت كذلك إعانتها سنة 1920م، كما ساءت العلاقة بينه وبين بريطانيا منذ رفضه الاعتراف بمعاهدة الصلح في فرساي عقب الحرب العالمية الأولى. (98)

أما إذا انتقلنا بالحديث عن عبد العزيز آل سعود، فإنه — بقي على موقف الحياد أثناء الحرب العالمية الأولى، حيث كان يرى أن الاستقرار السياسي في ذلك الوقت يمثل مرحلة هامة قد تساهم في ثبات دولته الناشئة واستقرار أمنها. وما أن وضعت الحرب أوزارها حتى تطلع ابن سعود إلى البدء في توحيد الأقاليم ابتداءً من حائل ثم عسير والحجاز. ومما تجدر الإشارة إليه، أن العلاقة بين الشريف حسين وعبد العزيز آل سعود كانت متوترة، فقد سعت بريطانيا إلى إيجاد تسوية بين الأميرين لارتباطهما بمعاهدات معها، ولكن ظل الصراع قائماً بين الطرفين في تربة والخرمة؛ والذي نجح عبد العزيز آل سعود في السيطرة عليها وأصبح الطريق مفتوحاً إلى مكة، ولكنه لم يشأ التقدم وتجمدت الأوضاع على هذا الشكل. ويعود ذلك إلى عدم رغبته في إثارة مشكلة مع الإنجليز، كما كان حريصاً على مشاعر المسلمين وعدم إثارتها إذا باغت المدينتين المقدستين. (99)

وظهر عقب تسويات الحرب العالمية الأولى أن بريطانيا رسمت سياسة مفادها تطويق أملاك بن سعود بحكومات هاشمية في الحجاز وشرق الأردن والعراق، مما أثار مخاوف ابن سعود من ذلك بالإضافة الى بقاء الإمارة الرشيدية في حائل مجاورة لبلاده. (100)

ولذلك عزم الملك على ضم حائل والقضاء على إمارة آل رشيد فأرسل سنة 1340هـ / 1921م قوة كبيرة بقيادة أخيه محمد وابنه الأمير سعود وتبعهم بنفسه على رأس قوة لهذا الغرض، فاستسلم آل الرشيد وطلبوا الصلح وفق شروط يتم بموجبها استسلام جميع أسرة آل

الرشيـد، وأن يقيموا في ظل الملك عبد العزيز. ومن خلال تحليل الأحداث يتضح لنا أن الأسباب الحقيقية وراء انهيار إمارة آل الرشيـد تكمن في النزاع المستمر بينهم وآل سعود، وحوادث القتل والاعتيالات داخل الأسرة، وأخيراً، هزيمة الدولة العثمانية التي كانت تساندتهم في حربهم ضد آل سعود⁽¹⁰¹⁾

أما بالنسبة للحجاز فقد ظهرت بوادر جديدة للنزاع بين الطرفين ومنها النزاع على الحدود الشرقية بين نجد والحجاز عند تربة والخرمة، وقلق الشريف حسين من توسع الملك عبدالعزيز في عسير وحائل وشمال الجزيرة، بالإضافة الى منع الشريف حسين من دخول الحجاز حتى في أيام الحج، فاستشار الملك عبدالعزيز أعيان نجد في الحجاز، فأشاروا عليه بضم الحجاز بالقوة، فسير حملة الى الحجاز من تربة قاصدة الطائف فتمكنت من دخولها بعد مقاومة يسيرة، ثم تقابلت مع الشريف حسين في معركة - الهدهد - سنة 1343هـ - 1924م فانصرت على الشريف حسين انتصاراً كبيراً وبعد تنازل الشريف حسين عن الحكم لابنه علي، فانتقل الشريف علي من مكة الى جدة، فدخلت القوات النجدية الى مكة محرمة سنة 1343هـ - 1924م،⁽¹⁰²⁾ ثم تقدمت القوات النجدية فحاصرت جدة، وسيّرت قوة أخرى الى المدينة المنورة فحاصرتها، واستمر الحصار قرابة العام، وعند ذلك أرسل أمير المدينة المنورة التسليم مقابل الحفاظ على الأرواح والممتلكات، وتلاها بعد عدة ايام استسلام مدينة جدة بعد أن تدخلت بريطانيا للصلح بين الطرفين، فتم الاتفاق بينهما، وتنازل الشريف علي عن ملك الحجاز، ونودي بالملك عبدالعزيز ملكاً على الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.⁽¹⁰³⁾

آل عائض في عسير

أصبحت عسير منذ عام 1289هـ - 1872م متصرفية عثمانية مركزها أبها، ونتيجة لهزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى وخضوعهم لشروط الحلفاء، فقد تقرر خروجهم من البلاد العربية سنة 1337هـ - 1918م وتسليم الحكم فيها للأمرء المحليين فيها،⁽¹⁰⁴⁾ حيث وصل أمر الجلاء الى متصرف عسير محي الدين باشا من بريطانيا عن طريق الإدريسي، والذي كانت له مطامع توسعية في عسير، وعندئذ تسلم القيادة في عسير حسن بن علي بن محمد بن عائض، الذي بادر لتشكيل حكومة محلية، وجند سرية عسكرية تضم عدداً من الضباط الأتراك الذين تخلفوا بعد الجلاء العثماني وفضلوا البقاء في عسير.⁽¹⁰⁵⁾

وحيث عانت عسير أثناء الحرب العالمية الأولى من الضائقة الاقتصادية التي مرت على الجزيرة العربية نتيجة الحصار العثماني على البحر الأحمر أثناء الحرب وزادت المعاناة بعد الخروج العثماني من عسير نظراً لتوقف المساعدات التركية للمنطقة، ومن أجل التغلب على الصعوبات الاقتصادية التي تمر بها الإمارة العسيرية، انقسم العسيريون الى فريقين؛ فالفريق الأول يرى الانضمام الى الملك حسين وعلى رأسهم محمد بن عبد الرحمن بن عائض ابن عم

حسن بن عائض، بينما يرى الفريق الآخر الانضمام الى الإدريسي، ويتزعم هذا الرأي شيوخ قحطان وشهران وبعضمن الأعيان،⁽¹⁰⁶⁾

وعند ذلك استقر رأي أهل البلاد على إرسال وفدين الى الحكومتين الهاشمية والإدرسية، فذهب الوفد الأول برئاسة الأمير محمد بن عبدالرحمن الى الشريف حسين، بينما توجه الوفد الثاني برئاسة الأمير حسن بن عائض الى الإدريسي، والذي التقى به وتمت اتفاقية بين الطرفين تنص على انضمام عسير السراة تحت الإدرسية ويكون حسن بن عائض نائباً للإدريسي في أبها ويصرف له مرتب شهري، كما يكون للإدريسي مندوباً الى جانب حسن بن عائض بأبها، وبعد توقيع الاتفاقية رجع حسن بن عائض وفي معيته مندوب الإدريسي إبراهيم الشوكاني⁽¹⁰⁷⁾ وبعمدة وصل وفد الأمير محمد بن عبدالرحمن من مكة يحمل اتفاقاً ينص على ارتباط عسير اسمياً بشريف مكة المكرمة، ونتيجة لذلك اجتمع أهلالرأي للتنسيق بين الاتفاقيين، وتوصلوا الى رأي موحد وهو الاستقلال للتخلص من المتنافسين على عسير، ولما علم الإدريسي بذلك اتخذ الذرائع للهجوم على عسير، فجهز جيشاً وتحرك به لدخول أبها والقضاء على حكم آل عائض، ولكن حسن بن عائض تمكن من هزيمة الإدريسي والاستقلال بحكم عسير.⁽¹⁰⁸⁾

ثم بدأ الانتقام من القبائل المتعاونة مع الإدريسي. مما دعا القبائل إلى عرض أمرهم على الملك عبدالعزيز فبادر بإرسال حملة الى عسير بقيادة الأمير عبدالعزيز بن مساعد سنة 1338هـ، فتمكنت من بسط نفوذها على عسير،⁽¹⁰⁹⁾ ولكن حسن بن عائض تمكن من الثورة على الحكم السعودي فأرسل الملك عبدالعزيز ابنه الأمير فيصل الذي تمكن من ضم عسير نهائياً الى الحكم السعودي عام 1341هـ.⁽¹¹⁰⁾

جنوب الجزيرة العربية:

بنهاية الحرب العالمية الأولى وهزيمة الدولة العثمانية انتهى دورها في اليمن عملياً، فقد أصدر السلطان العثماني أوامره إلى القوات العثمانية المسلحة في الجزيرة العربية بالاستسلام للقوات البريطانية. وفي اليمن طلب البريطانيون أن يُسلم الوالي العثماني في اليمن (محمود نديم بك) قواته، ولكنه سعى إلى تسليم ما تحت يد العثمانيين من مناطق وأسلحة للإمام يحيى حميد الدين، بل أنه سارع بدعوة الإمام للقدوم إلى صنعاء واستلامها من الإدارة العثمانية، وكانت حجته في ذلك أن للإمام ديون مستحقة عند العثمانيين، وأن تسليمه هذه المعدات مقايضة للإمام على هذه الديون التي لن يتمكن العثمانيون من الوفاء بها، وباعتباره الوريث الطبيعي لهم، والحاكم الشرعي لليمن بعد خروجهم منه، ونتيجة لتلك التطورات، نالت اليمن استقلالها عن الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى، وأعلن الإمام يحيى نفسه إماماً على اليمن وأسس المملكة المتوكلية اليمنية وصار ملكاً عليها⁽¹¹¹⁾

نخلص مما سبق إلى « إن الإمام يحيى، وعلى الرغم من عدم مشاركته في الحرب، واتخاذ

جانب الحياد، إلا أنه نال جزءاً من ثمارها، وتمثلت هذه الثمار في السيطرة على كثير مما كان تحت يد العثمانيين من مناطق باليمن وامتلاكه بعض المعدات والأسلحة العثمانية أيضاً»⁽¹¹²⁾ أما عن طموحات الإدريسي فقد كان مهتماً بخروج العثمانيين، وكان يعمل على الاستفادة من هذا الخروج في تحقيق أغراضه. وفي واقع الأمر كانت مصالحه قد تلاقت مع مصالح إنجلترا فكلاهما كان يضايقه وجود العثمانيين في اليمن، وكذلك كانا يخافان من أن يرث الإمام يحيى العثمانيين، ويخشيان قوة الإمام ونفوذه، خاصة إذا أصبح مستقلاً في بلاده. لهذا فقد سعى الإدريسي بعد خروج العثمانيين إلى توسيع حكمه في المخلاف السليماني⁽¹¹³⁾ أما موقف إنجلترا فقد دخلت في صراع مع الإمام يحيى من أجل الضغط عليه للاعتراف بشرعية وجود بريطانيا في جنوب اليمن وإقرار اتفاقية الحدود، لذا فقد أسرعت بريطانيا في سنة 1918م إلى احتلال موانئ الحديدة واللحية والمخا، وذلك لرغبتهم في عزل الإمام يحيى عن البحر، بالإضافة إلى اتخاذها ورقة رابحة في أيديهم يسامون بها الإمام كي يطمئنوا على مستقبلهم في عدن، فضلاً عن جعل اليمن مسرحاً لتدخل القوى الأوروبية المنافسة لبريطانيا مما يشكل خطراً عليها.⁽¹¹⁴⁾

وبعد أن شعرت بريطانيا بعدم جدوى القوة العسكرية، استخدمت أسلوب المفاوضات والبعثات، ففي 18 أغسطس 1919م أرسلت الحكومة البريطانية إلى عدن أول بعثة إلى الإمام يحيى بقيادة (جاكوب Jacob) ولكن فشلت البعثة في الوصول إلى صنعاء ومقابلة الإمام، بعد اعتقالها من قبل قبيلة القحري التي منعت وصولها للإمام ولقد أشيع إن الإدريسي كان خلف ذلك الاعتقال لأن التقارب بين الإنجليز والإمام كان يضايقه. وقد أدى فشل المفاوضات إلى إثارة حفيظة الإمام يحيى ضد بريطانيا وسياستها، حيث أمر جيوشه المتمركزة في جنوب اليمن بالزحف نحو عدن لاحتلال المحميات التسع باعتبارها جزءاً من أملاك أجداده، حسب قوله، ولعله كان يهدف من ذلك إلى مساومة الإنجليز للخروج من الحديدة.⁽¹¹⁵⁾

وعند ذلك قامت بريطانيا بعمل مضاد حيث قامت بتسليم ميناء الحديدة إلى حليفها محمد الإدريسي العدو للدود للإمام، ومدوه بالمال والسلاح، مكافأة له على تعاونه معها في الحرب ضد الأتراك، ولم تفعل بريطانيا ذلك إلا انتقاماً من الإمام يحيى، وخوفها على عدن، فأرادت إشغاله عنها، فأعطتها للإدريسي حتى يظل التنازع قائماً بينهما، فلا يتفرغ الإمام لاسترداد عدن؛ لأن الحديدة أهم لديه منها فهي ميناء صنعاء والمنفذ البحري له، وضمها للمخلاف معناه عزلة الإمام في الهضبة اليمنية بعيداً عن البحر.⁽¹¹⁶⁾

وهكذا، أصبح الإدريسي يمتلك اللحية والحديدة، وباقي موانئ المخلاف السليماني المهمة، كما أنه أخذ يمارس بعض النفوذ على قبائل تهامة. وبذلك نجح في عزل الإمام يحيى عن البحر. ومن الجدير بالذكر، أن الإمام كان يزعمه زيادة قوة ونفوذ الإدريسي وإنجلترا ولا

يقبل بقاءهما في تهامة أو ثغورها، هذا فضلاً عن رغبته في عسير نفسها وعدن أيضاً، وقد سبب هذا التعقيد صعوبة الوصول إلى حلول ترضي هذه الأطراف المتنازعة.⁽¹¹⁷⁾

والحقيقة أن العلاقات الخارجية للأدارة في المخلاف السليماني في هذه الحقبة الحرجة أدت إلى نجاح الإدريسي في احتفاظه بالمخلاف السليماني، بل وسيطرته على كل تهامة والتي تعتبر خط الدفاع الأول بالنسبة لإمارته والتي كان يرى أنها جزء من دولته.⁽¹¹⁸⁾

ومما سبق يتضح لنا، أن الوضع في اليمن قام على الصراع بين القوى الثلاث، فالإمام يحيى وحيداً بينما الإدريسي تناصره إنجلترا، وقد حاول أمين الريحاني التفاهم مع الأطراف الثلاثة في اليمن، وعرض على الإمام استرجاع الحديد فقط دون الإصرار على أخذ تهامة وطرده الإدريسي منها، ولكنه رفض التعاون معه، كما رفض اقتراحات الريحاني بحجة أن الإدريسي دخيل وليس له أية حقوق في اليمن أو المخلاف السليماني، وبالتالي لا يحق له التفاوض أو التعاون معه. وهكذا استمرت العلاقة بين الإمام والإدريسي متوترة، لهذا رأى الأخير أنه يحتاج إلى قوة أخرى في الجزيرة العربية يركن إليها غير بريطانيا، فوقع اختياره على الإمام عبد العزيز آل سعود الذي عقد معه معاهدة صداقة في عام 1919م. أما إذا انتقلنا بالحديث عن عدن والمحميات التسع، فقد ظلت تحت الاستعمار البريطاني، وظلت إنجلترا مهيمنة على تلك المنطقة، تعمل على تمكين سلطتها وتدعيمها. فكان يتولى المقيم البريطاني رئاستها، وقائداً أعلى للقطاعات العسكرية البريطانية المتمركزة في عدن.⁽¹¹⁶⁾

الخاتمة

مارست الدول الاستعمارية الكبرى بريطانيا وإيطاليا وفرنسا قبل وخلال الحرب العالمية الأولى على الدول المطلة على البحر الأحمر، سياسات مكنتها من السيطرة على الأوضاع السياسية في البحر الأحمر خلال تلك الفترة، وكان لهذه الممارسات تداعياتها وأثارها السلبية على القوى السياسية خلال فترة الحرب الكبرى أو بعد التسويات الظالمة في نهاية الحرب، وترتب على ذلك عدد من النتائج على النحو التالي: -

1. كان الضعف الذي أصاب الدولة العثمانية، بالإضافة إلى ما تعانيه القيادة السياسية في مصر من تدهور في أحوالها السياسية والاقتصادية، والضعف والنزاع بين القوى السياسية المحلية في منطقة البحر الأحمر، من أبرز العوامل التي أعطت الفرصة للدول الاستعمارية الكبرى في بسط نفوذها على معظم بلدان البحر الأحمر.
2. تدهور أوضاع بعض القوى السياسية بعد تسويات الحرب العالمية الأولى سياسياً واقتصادياً، نتيجة الأساليب السياسية والعسكرية التي استخدمتها بريطانيا في المنطقة لتنفيذ سياساتها في البحر الأحمر، فاستغلت الشعوب المطلة على البحر الأحمر ومواردها الاقتصادية ومرافقها وأراضيها في حربها ضد العثمانيين. كما استخدمت بريطانيا أساليب التسويق والمماطلة

والخديعة مع الشريف حسين ولم تنفذ ما وعدته به في مراسلاته مع مكماهون، وهذا يدل على أن الشريف حسين وأولاده كانت تنقصهم الخبرة السياسية والدبلوماسية في التعامل مع الدول الاستعمارية الكبرى.

التوصيات

إن دراسة تاريخ بلدان البحر الأحمر من الدراسات المهمة، والتي تحتاج الى البحث والتحليل واستقراء النتائج وأسلوب المقارنة، وهناك الكثير من الموضوعات التي بحاجة الى من يطرقها، ومن بين هذه الموضوعات:

1. تسويات الحرب العالمية الأولى وأثرها على البلدان الأفريقية المطلة على البحر الأحمر.
2. دراسة مقارنة لسياسات الدول الاستعمارية للبلدان المطلة على البحر الأحمر بين الساحلين الآسيوي والإفريقي.

قائمة المصادر والمراجع:

1. السيد حسين جلال، التطور الاقتصادي للبحر الأحمر، [د ت] الإسكندرية، 2007م، ص 12.
2. آجيه يونان جرجس، البحر الأحمر ومضائقه بين الحق العربي والصراع العالمي. دار غريب. القاهرة. [د ت]. ص ٢٧.
3. عبد الله عبد المحسن السلطان، البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي، ط 3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1988، ص 52-53.
4. عائدة العلي سري الدين، السودان والنيل بين مطرقة الانفصال والسندان الإسرائيلي، ط 1، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1418هـ-1998م، ص 79.
5. عبد الله عبد المحسن السلطان، البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي، ص 73.
6. عليا صراف، اليمن الجنوبي، الحياة السياسية من الاستعمار إلى الوحدة، ط 1، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، 1992م، ص 27-28.
7. فاروق عثمان أباطة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر 1839-1918، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987م، ص 95.
8. عليا صراف، اليمن الجنوبي، ص 30-31.
9. فاروق أباطة، عدن والسياسة البريطانية، ص 119.
10. فاروق عثمان أباطة، دراسات في تاريخ العلاقات الدولية الحضارة الحديثة، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1996م، ص 154.
11. عبد الله عبد المحسن السلطان، البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي، ص 54.

12. آجيه يونان جرجس، البحر الأحمر ومضائقه، ص 32-33.
13. شوفي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، ط2، دار الزهراء، الرياض، 1422-2002م، ص 314.
14. فاروق عثمان أباطة، الحكم العثماني في اليمن 1872م-1918م، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1986م، ص 87-91.
15. فاروق عثمان أباطة، سياسة بريطانيا في عسير أثناء الحرب العالمية الأولى، دراسة وثائقية، دار المعارف، الإسكندرية، [د.ت.]، ص 12-14.
16. جاد طه، سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة 1969م، ص 259-260.
17. سلطان ناجي، التاريخ العسكري لليمن 1839م-1967م، ط1، دائر التوجيه المعنوي، صنعاء، 2004م، ص 45-47.
18. صباح مهدي وميض، تاريخ جنوب الجزيرة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987م، ص 202.
19. الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، إقليم شرقي أفريقيا، 1419-1999م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ج1، ص 619.
20. الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، المرجع السابق، ص 619-620.
21. شوقي الجمل، عبد الله إبراهيم، المرجع السابق، ص 176.
22. سيد مصطفى سالم، البحر الأحمر والجزر اليمنية تاريخ وقضية، دار الميثاق للنشر والتوزيع، صنعاء، 2006م، ص 102.
23. جاد طه، عدن والسياحية البريطانية، ص 323.
24. ميناء أوبك مدينة صغيرة تقع في الشمال الجبوتي، وتحديد على الساحل الشمالي لخليج تاجورة. للاستزادة؛ انظر عبد الله ناصر الوليعي، معجم الأماكن الجغرافية في البحر الأحمر، ج1، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، 1439هـ، ص 58.
25. زاهر رياض، استعمار أفريقية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1384هـ - 1965م، ص 165.
26. جلال يحيى، تاريخ أفريقية الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999م، ص 371-372.
27. زاهر رياض، استعمار أفريقية، ص 166.
28. (شوقي الجمل، عبد الله إبراهيم، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، ص 284.
29. عبد اللطيف بن محمد بن حميد، البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني

- البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1415هـ - 1994م، ص 59.
30. عبد اللطيف محمد الحميد، المرجع السابق، ص 38.
31. عائشة سليمان السويدات، العلاقات السياسية بين شريف مكة الحسين بن علي وآل رشيد في حائل 1908-1921، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، رسالة ماجستير، 2010م، ص 38-39.
- (3) فائق بكر الصواف، العلاقة بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز في الفترة ما بين 1293 - 1334هـ/ 1876 - 1916م، (د.ن)، 1978م، ص 158 - 159.
32. جورج انطونيوس، يقظة العرب، ترجمة، ناصر الدين الأسد، ط8 دار العلم للملايين، بيروت، 1987، ص 211.
33. نضال داود المومني، الشريف حسين بن علي والخلافة، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، رسالة ماجستير، 1995م، ص 38 - 39.
34. جاد طه، عدن والسياسة البريطانية، ص 545.
35. فاروق عثمان أباطة، سياسة بريطانيا في عسير أثناء الحرب العالمية الأولى، دراسة وثائقية، دار المعارف، القاهرة، [د ت]، ص 30-31 ..
36. سيد مصطفى سالم، تكوين اليمن الحديث - اليمن والإمام يحيى 1904-1948م، ط4، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993م، ص 173-177 م.
37. فاروق أباطة، المرجع السابق، ص 33 - 34.
38. السيد عبد الحليم العال، النشاط التجاري في موانئ شبه الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة التاسع والعاشر بعد الميلاد، مطبعة الشمس، القاهرة، 2007م، ص 19.
39. السيد عبد الحليم العال، المرجع السابق، ص 19.
40. السيد حسين جلال، التطور الاقتصادي للبحر الأحمر بعد افتتاح قناة السويس للملاحة العالمية (1869 - 2005) [دن] [دم] 2007م، ص 27.
41. السيد عبد الحليم العال، المرجع السابق، ص 23.
42. السيد عبد الحليم العال، المرجع السابق، ص 24.
43. عبد الرحمن صادق الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية، ج2، دار المريخ، الرياض، 1402-1984م، ص 199.
44. الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، المرجع السابق، ج2، ص 349.
45. مجموعة من المؤلفين السوفييت، تاريخ اليمن المعاصر من 1917م - 1982م،

- ترجمة، محمد علي البحر، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990م، ص 12-15.
46. الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، المرجع السابق، ج2، ص350.
47. السيد عبد الحليم عبد العال، المرجع السابق، ص31.
48. فاروق عثمان أباضة، المرجع السابق، ص 23 - 25.
49. السيد عبد العال، المرجع السابق، ص38.
50. جلال، المرجع السابق، ص 32 - 33.
51. عبد العال، المرجع السابق، ص38.
52. السيد جلال، المرجع السابق، ص40.
53. راضي محمد جودة، السويس مدينة التاريخ، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2016م، ص 37-43.
54. السيد جلال، المرجع السابق، ص21.
55. نعيمة شديد محمد زين، أهمية الموانئ السودانية للتجارة الدولية عبد البحر الأحمر خلال العصر الإسلامي، مجلة جامعة الملك عبد العزيز - العلوم التربوية السعودية، م13، 2000م، ص 369-370.
56. السيد جلال، المرجع السابق، ص32.
57. محمد عثمان أبو بكر، المثلث العفري في القرن الأفريقي عبر العصور التاريخية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 1996م، ص257.
58. الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، المرجع السابق، ص561.
59. الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، المرجع السابق، ص579.
60. عبدالله ناصر الوليعي، معجم الأماكن الجغرافية في البحر الأحمر، ج1، دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1439هـ، ص75.
61. عبدالله ناصر الوليعي، المرجع السابق، ص346.
62. جلال يحيى، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، ص365.
63. فاروق عثمان أباضة، المرجع السابق، ص 355-356.
64. فاروق عثمان أباضة، المرجع السابق، ص346.
65. سيد مصطفى سالم، المرجع السابق، ص198.
66. سيد مصطفى سالم، المرجع السابق، ص198.
67. عبد اللطيف محمد الحميد، المرجع السابق، ص205.
68. جورج أنطونيوس، المرجع السابق، ص 251 — 275.
69. جلال يحيى، المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث، دار المعارف، القاهرة،

- 1965م، ص 536.
70. رأفت الشيخ، تاريخ العرب المعاصر، دار عين للنشر، القاهرة، 1996م، ص 42-47.
71. أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، ج 1، مكتبة مدبولي، القاهرة، [دت]، ص 149-150.
72. حسين بن محمد نصيف، ماضي الحجاز وحاضره -الحسين بن علي، ط 1، مكتبة ومطبعة خضير، القاهرة، 1349هـ، ج 1، ص 54-57.
73. جلال يحيى، المرجع السابق، ص 504.
74. إبراهيم محمد حسن، البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى 1914-1918م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1998م، ط 1، ص 112.
75. هاني زامل العبدلي، مواقف الوالي محمود نديم بك السياسية باليمن خلال الفترة 1329-1349هـ/1911-1930م، مجلة جامعة الملك عبد العزيز -الآداب والعلوم الإنسانية، مج 18، العدد 2، 2010م، ص 18.
76. فاروق أباطة، الحكم العثماني في اليمن، ص 356.
77. هاني زامل العبدلي، المرجع السابق، ص 19.
78. سيد سالم، المرجع السابق ص 206.
79. هاني زامل العبدلي، المرجع السابق، ص 20-21.
80. سيد سالم، المرجع السابق، ص 207.
81. صباح مهدي وميض، المرجع السابق، ص 199.
82. سيد مصطفى سالم، المرجع السابق، ص 208-217.
83. فاروق عثمان أباطة، المرجع السابق، ص 38-40.
84. سيد سالم، المرجع السابق، ص 221-222.
85. أميرة علي مداح، المخلاف السليماني تحت حكم الأدارسة وجهود الملك عبد العزيز لضم المخلاف للملكة العربية السعودية، دار القاهرة، القاهرة، [دت]، ص 213-216.
86. محمد إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 127.
87. محمد علي محمد الفقيه، العلاقات بين المملكة اليمنية في صنعاء وبريطانيا في عدن في عهد الإمام يحيى بن حميد الدين (1918-1934م)، مجلة الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا-الولايات المتحدة، (المجلد د-18 ال عدد 25) 2017 م، ص 125.
88. سيد مصطفى سالم، المرجع السابق، ص 244؛ أميرة علي المداح، المرجع السابق،

ص 232.

89. عبد الرحيمعبد الرحمنعبد الرحيم، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار المتنبي للنشر والتوزيع، الدوحة، 1996، ص 287-288.
90. عبد المنعم إبراهيم الجميعي، المشرق والمغرب العربي دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر، [د.ن.]، القاهرة، 2013م، ص 100.
91. جورج انطونيوس، المرجع السابق ص 399-400.
92. عبد الرحيم عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 320-321.
93. محمود حسن صالح منسي، المرجع السابق، ص 523.
94. أميرة علي المداح، المرجع السابق، ص 234-235.
95. عبد الرحيم عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 411.
96. محمد سالم عوض العليوات، علاقات عبد العزيز آل سعود بالقوى المتواجدة في نجد والخليج العربي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، 1996م، ص 39.
97. عبد الرحيم عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 411-412.
98. أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ط 6، دار الجيل، بيروت، 1988م، ص 420-425.
99. محمد بن عبد الله آل زلفه، عسير في عهد الملك عبد العزيز دورها السياسي والاقتصادي والعسكري في بناء الدولة السعودية الحديثة، دار بلاد العرب للنشر والتوزيع، الرياض، 1435هـ-2014م، ص 23.
100. هاشم سعيد النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض، 1419هـ، ص 332.
101. محمود شاكر، شبه جزيرة العرب-عسير، المكتب الإسلامي، بيروت، [د ت]، ص 247.
102. هاشم النعمي، المرجع السابق، ص 334-335.
103. محمود شاكر، المرجع السابق، ص 250-251.
104. محمد عبد الله آل زلفه، المرجع السابق، ص 25-26.
105. هاشم النعمي، المرجع السابق، ص 236.
106. فاروق عثمان أباطة، المرجع السابق، ص 415-417.
107. هاني زامل العبدلي، المرجع السابق، ص 30-31.
108. أميرة علي المداح، المرجع السابق، ص 232.

109. محمد علي محمد الفقيه، المرجع السابق، ص 127.
110. سيد سالم، المرجع السابق، ص 258 — 259.
111. محمد علي محمد الفقيه، المرجع السابق، ص 128.
112. سيد سالم، تكوين اليمن الحديث، ص 275.
113. أميرة علي المداح، المرجع السابق، ص 241-242.
114. أميرة علي المداح، نفس المرجع، ص 245-248.
115. زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص 56.